قصيدة

يا لائِمي من غير ما برهانِ

نظم

الشمائل النبويَّة

على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام

نظم

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النقيلي

غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين

قصيدة

يا لائِمي من غير ما برهانِ

نظم

الشمائل النبويَّة

على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام

نظم

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النقيلي

غفر الله له ولوالديه والمسلمين آمين



يا ناظرًا فيمَا عمدتُ لِنَظْمِــــــهِ * عذرًا فإنَّ أخَا البصيرةِ يعـــــــذرُ

واعلمْ بأنَّ المرءَ لوْ بلغَ المـــدَى * في العُمرِ لاقَى الموتَ وهوَ مقصِّرُ

فإذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافْتحْ لــــــــهَا * بابَ التَّجاوزِ فالتَّجاوزُ أجـــــــدرُ

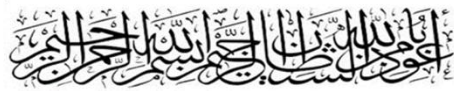
ومنَ المحالِ بأن نرَى أحدًا حوَى * كُنهَ الكَمالِ وذَا هوَ المتعـــــذِّرُ

فالنَّقصُ في نفس الطبيعة كـــائنٌ * فبنو الطَّبيعة نقصهم لا يُنـــكرُ[1]

---

(1) عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيُّ ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد".

البيت فيه: يا ناظرا في عمدت لجمعه، وأنا غيرتها: لنظمه، لتوافق مقصد الكتاب.



{أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}

[المؤمنون: 69].

عن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ قال:

مَن رآني في المنامِ فقد رأى الحقَّ إنَّ الشَّيطانَ لا يتشبَّهُ بي[1]

[1] **أخرجه البخاري (6993)، ومسلم (2266)، وأبو داود (5023)، وابن ماجه (3901) واللفظ لهم.**

مقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنَا ومنْ سيِّئاتِ أعمالنَا، منْ يهدهِ اللهُ فلَا مضلَّ لهُ ومنْ يضللْ فلَا هاديَ لهُ، وأشهدُ أنَّ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لَاشريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسولهﷺ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلَاتَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران: **102**].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّنِسَاءً وَّاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُون بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيبًا}[النساء: **1**].

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِرْلَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُّطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب: **70 – 71**].

أمَّا بعدُ: "فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالَى، وخيرُ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرّالأمورِ محدثاتهَا، وكلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ، وكلَّ ضلالةٍ فِي النَّارِ"[1].

وبعد: فهذا نظم مباركٌ في الشمائل النبوّية نظمته من كتابي: {المختصر في وصف البشر}، فجعلته على الرجل التَّام بقافية نونيّة، معَ يا الإطلاق تنطق ولا تكتب، وجعلتُ هذا النَّظم في شكل نظم غراميٍّ من باب، ومدحيٍّ من باب آخر، وكلُّه يدور حول علم الشمائل، وملأت النَّظم بالاستدلالات وذلك بذكر أقوال الصحابة ﷺ في شكل نظم، هذا وأسأل الله تعالى أن يقبلها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن ينفعني بها والمسلمين آمين.

وكتب:

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النقيلي

---

[1] أما بعدُ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وإنَّ أفضلَ الهديِ هديُ محمدٍ ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ أتتْكم الساعةُ بغتةً – بُعِثتُ أنا والساعةُ هكذا – صبحَتْكم الساعةُ ومستْكم – أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه – من ترك مالًا فلأهلِه – ومن ترك دَيْنا أو ضَياعًا فإليَّ وعليَّ – وأنا وليُّ المؤمنين.
الراوي : جابر بن عبدالله، المصدر :أخرجه النسائي في (المجتبى) (3/ **188**)، وأحمد (3/ **310**) باختلاف يسير.
وصححه الألباني في صحيح الجامع، الرقم: **1353**.

{قصيدة}

{يا لائمي من غير ما برهانِ}

{في الشمائل النبوية}

صفات النبي ﷺ الخِلقيَّة:

يَا لَائِمِي مِنْ غَيْرِ مَا بُرْهَانِ ** اسْمَعْ لِقَوْلِي لَا تَكُنْ حَيْرَانِ

يَا لَائِمًا فِي حُبِّهِ لَا تَعْذُلَنْ ** وَانْظُرْ لِحَالِ الْهَائِمِ الْوَلْهَانِ

إِنَّ الرَّسُولَ مَنْ رَأَى جَمَالَهُ ** يَعْلُو رُؤُوسَ الْوُلْدِ بِالشَّيْبَانِ[1]

بِلَحْظَهِ الْهُدْبِ وَشَعْرِهِ الرَّطِبْ ** وَقَوْلِهِ الْعَذْبِ الَّذِي أَرْوَانِي[2]

بِقَدِّهِ الرَّبْعِ وَلَوْنِهِ الزَّهِرْ ** وَفَلْجَةُ السِّنِّ لَقَدْ أَعْيَانِي

كَثٌّ لِلِحْيَةٍ وَرَطْبُ رَاحَةٍ ** وَعَظْمُ كُرْدُوسٍ لَهُ ضَخْمَانِ

سَوَادُ شَعْرِهِ بِطُولٍ رُطْبُهُ ** وَالْغُدْرُ مُدْهُونٌ بِهِ أَبْرَانِي[3]

[1] اللغة: جمع (شيب) هو "شِيب"، أما "شيبان" فهي تُطلق غالباً على شهر من شهور الشتاء أو اسم قبيلة، أو تُستخدم في العاميّة. الفصحى في هذا السياق (للدلالة على كبار السن) هي "الشِّيبِ" أو "الأَشْيَابِ" وكلمة "الشيبانِ" هنا تُعدُّ من "الضرورات" التي قد تُغتفر في الرجز.

[2] اللحظ في اللغة هو نظر العين من جانب الأذن، أي الالتفاتة بطرف العين. الأهداب (ومفردها هُدْب) هي شعرات جفون العين.

[3] كلمة أبراني: بمعنى شفاني.

شَيْبٌ قَلِيلٌ فِي شَعَرْ، فِي عَنْفَقَهْ ** كَثِيرُهُ، فِي آخِرِ الصُّدْغَانِ[1]

عَظِيمُ رَأْسٍ بِجَمَالٍ قَدْ وُصِفْ ** وَذَاكَ مَمْدُوحٌ لَدَى الْعُرْبَانِ

طَوْلٌ لِمَسْرَبَهْ، كَذَا رَحْبُ جَبِيـ ** ـنِ هَدْبُ أَشْفَارٍ أَسِلْ خَدَّانِ[2]

ضَلِيعُ فَمْ، بِحُسْنِ ثغْرٍ طُولُ شَقْـ ** ـقٍ دَعْجُهُ فِي هَذِهِ الْعَيْنَانِ[3]

أزجُّ حَاجِبَيْنِ أبْلَجٌ كَذَا ** طَوِيلُهُمْ، مِنْ غَيْرِ ذِي الْقَرْنَانِ[4]

بَيْنَ الْعُيُونِ فِضَّةٌ، أَقْنَى الْأَنَفْ ** رَحْبٌ لِمَا فِي بَينِ مَنْكِيبَانِ[5]

وَبَارِدُ الْيَدَيْنِ وَالرِّيحُ بِهَا ** مِسْكٌ حَرِيرٌ هَذِهِ الْكَفَّانِ

شَثْنُ الْكُفُوفِ رَطْبُهَا جَمِيلُهَا ** كَذَا طَوِيلُ شَبْحِ ذِي الذِّرْعَانِ[6]

فِي سَاقِهِ وَبْصٌ بَيَاضٌ شَثْنُ أَقْـ ** ـدَامٍ وَأَخْمَصٌ لِذِي السِّيقَانِ[7]

قَلِيلُ لَحْمٍ فِي عَقِبْ، وَقَدْ يُرَى ** بَرِيقُ فِي هَاتِيكُمَا الرِّجْلَانِ

---

[1] العنفقة: هي الشعر الذي تحت الشفة السفلى وفوق الذقن، وكان فيها شعرات بيض يسيرة. الصدغان: الصدوغ: جمع صُدغ، وهو ما بين العين والأذن، وهناك كان يظهر شيبه الشريف، وقولي: في عنفقه كثيره في آخر الصدغانِ ، أي: شيبه: أنه لم يزد عن عشرين شيبة في شعره ولكن في العنفقة والصدغان أكثر من ذلك.

[2] المسرُبة: الشعر الدقيق الذي يأخذ من الصدر إلى الصرَّة، فوض الجبين: أي: مُفاض الجبين، أي: واسع الجبين، أسل خدين: أي: أسيل الخدين، أي: مستوي الخدَّين، غير مرتفع الوجنتين.

[3] ضَلِيع: معناها، كبير، والدَّعَجُ: هو: شِدَّةُ سَوَادِ حَدَقَةِ العَيْنِ مَعَ شِدَّةِ بَيَاضِ بَيَاضِهَا.

[4] كلمة "الأزجّ": أي: يكون الحاجب رقيقاً طويلاً وممتداً بجمال نحو مؤخرة العين، كلمة "الأبلج": أي: اتساع ونقاء المسافة بين الحاجبين من الشعر.

[5] أقنى الأنف: المستوي الأنف من أوله إلى آخره. والمَنْكبان، كتبتها: مَنْكِيبانِ، لتستوي مع الضرب فكله مقطوع على وزن مستفعلْ، وهذا يُسمى "المَط" أو الإشباع في وسط الكلمة للضرورة، وهو مقبول في "الرجز" لضبط الوزن.

[6] شثن الكفَّين: تميل إلى الغلظ والقصر وهو دليل القوَّة، شبح الذراعين: أي: طويلهما، وقيل عريضهما.

[7] وبيص: أي: بريق، أخمص القدمين: هو ما دخل من باطن القدم، فالنبي ﷺ كان مستوي باطن القدم.

كَأَنَّ ظَهْرَهُ السَّبِيكَةُ الَّتِي ** بِفِضَّةٍ زَانَتْ، لَهَا بُرْقَانِ

وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ مِسْكٍ وَعَنْ ** ـبَرٍ، وَلُؤْلُؤٌ بِهِ عَرْقَانِ

مُقَصَّدٌ، مَلَاحَةٌ، بَيَاضُهُ ** دَوَائِرٌ فِي وَجْهِهِ لَمْعَانِ[1]

إنَّ الْجَمَالَ يَسْتَحِي وَيَنْجَلِي ** إِذَا أَتَى ذِكْرٌ لِذَي الْعَدْنَانِ

كَأَنَّهُ الشَّمْسُ بِإِشْعَاعٍ أَتَتْ ** فَاقْصُرْ أيَا لَائِمُ عَنْ لَوْمَانِي

سَلِ الرُّبَيّعَ ابْنَةَ الْمُعَوّذِ ** وَسَلْ أَبَا هِرٍّ عَنِ الْوَصْفَانِ

سَلْ جَابِراً لَمَّا يَقُلْ: أَحْسَنُ مِنْ ** قُمَيْرٍ فِي عُتَيْمَةٍ ضِحْيَانِي[2]

مِنْ قَوْلِ جَابِرٍ فَلَا قِيَاسَ لَا ** تَمْثِيلَ لَا تَشْبِيهَ لَا رُجْحَانِ[3]

كَأَنَّ وَجْهَهُ قُطَيْعَةُ الْقَمَرْ ** إِذْ سُرَّ أَوْ رَأَيْتَهُ فَرْحَانِ

أَوْ وَرْقَةٌ مِنْ مُصْحَفٍ مِنْ شِدَّةِ الْ ** ـحُسْنِ الَّذِي صَارَ بِهِ نَوْرَانِ

أَبْلَجُ وَجْهٍ ظَاهِرُ الْوَضَاءَةِ ** قَسِيمُ، صَوْتُهُ بِهِ صَهْلَانِ[4]

---

[1] مُقَصَّدٌ: أي: لا نحيف ولا سمين ولا طويل ولا قصير، وقوله: دوائرٌ: أي: دوائرُ الوجهِ لها لمعان.

[2] الإضحيان، وضَحِيَان: لها نفس المعنى وهو: الليلة المقمرة، وجعتها: ضِحْيَانِي، لتوافق القافية، وضِحْيَان، أو ضَحيَان، كلاهما صحيح لغة.

[3] مِنْ قَوْلِ جَابِرٍ: أي استنادًا إلى شهادته واعتمادًا على رؤيته البصرية اليقينية، فهو الحُجّة التي نرتكز عليها، فإنَّه لا قياس بين شيئين لا يشتركان في العلَّة، ولا تمثيل وهو المطابقة، ولا تشبيه وهو المقارنة، لَا رُجْحَانِي: أي لا مجال للمفاضلة أو وضع "كفتي ميزان"؛ لأن كفة الجمال النبوي راجحةٌ بذاتها دون حاجة لمقارنة مع غيرها.

[4] أبلج: يعني نيِّرُ الوجه، قسيم، أي: جميل، صهلان: أصلها،: فس صوته صَهْلٌ، وهي البحَّة الخفيفة غالبًا، وقيل: الصَّهْلُ: حدّة ولطافة ورنين في الصوت لا جفاء فيها .

فِي ظَهْرِهِ خَتْمُ نُبُوَّةٍ بَهَا ** شَعْرَاتُهُ، بَيْضٌ لِذِي الْوَرْشَانِ[1]

سُبْحَانَ مَنْ أَتَمَّهُ بِأَحْسَنِ ** خَلْقٍ، بَدِيعٌ مَالِكٌ مَنَّانِ

صفات النبي ﷺ الخُلقيَّة:

إِذَا تَكَلَّمَ اكْتَسَى بِالْحُسْنِ، إِنْ ** صَمَتْ عَلَاهُ هَيْبَةُ الْأَكْوَانِ

أَسْمَا حَيَاءً مِنْ عَذَارَى، إِنْ كَرِهْ ** شَيْئًا يَكُنْ فِي وَجْهِهِ الْعِرْفَانِ

طِيبُ مُزَاحٍ بِجَنَانِهِ يَقُلْ ** لمالكٍ: يَا صَاحِبَ الْأُذْنَانِ

يُخَالِطُ الْمِسْكِينَ وَالْفَقِيرَ وَيْـ ** ـكَأَنَّهُمْ فِي قُرْبِهِ خِلَّانِ

رَاحِمُ صِبْيَةٍ، يَقُلْ: أَبَا عُمَيْـ ** ـرُ مَا فَعَلْ نُغَيْرُ يَا حَزْنَانِ

قَالَ لِزَاهِرٍ: أَمَنْ يَشْرِي عُبَيْـ ** ـدًا؟ قَالَ: إِنْ تَجِدْنِيَا كَسْدَانِ[2]

كَذَا الشَّجَاعَةُ بِهِ تَشَرَّفَتْ ** فَارِسُ فُرْسَانِ ذِهِ الْعُرْبَانِ[3]

وَلَّوْ فِرَاراً فِي حُنَيْنِ، إِنَّمَا ** كَرَّ النَّبِيُّ قَاصِمُ الطُّغْيَانِ[4]

نَادَى بِصَوْتِهِ وَكَرَّ وَحْدَهُ ** كَمَا ابْنُ عَازِبٍ كَذَا أَنْبَانِي

---

[1] الورشان: وهو الحمام البري الكبير (يشبه الحمام الزاجل في قوته).

[2] فررت من الخبْلِ في كلمة: تَجِدُنِي، فجعلتها، تَجِدْنِيَا، فسكّنت الدل، وزدت ألف الإشباع، لتصبح مخبونة.

[3] كذا الشجاعة به: تركتها مخبولة لفخامتها، لأنَّها أفخم من قولي: كذا شجاعةٌ به..... مع أنَّها مخبونة.

[4] حنين: ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوي، ولكنَّنا قصدنا: به (وادٍ بين مكة والطائف): فيُصرف (يُنوّن) لأنه اسم لمكان مذكر، كقوله تعالى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ}.

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْ ** دِ الْمُطَّلِبْ هَلُمَّ يَا شُجْعَانِي[1]

يَحْكِي لَنَا عَلِيُّ إِنْ وَطِيسُ حَرْ ** بٍ اشْتَعَلْ نَلُوذُ بِالْعَدْنَانِ

وَقُوَّةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ غَالِبٍ ** فِي سُرُرٍ كَذَاكَ فِي الْأَبْدَانِ[2]

قَالُوا ثَلَاثِينَ رَجُلْ، زِدْ ثُلْثَهَا ** كَلَامُ صِدْقٍ لَا بِهِ بُهْتَانِ[3]

صَرْعُ رُكَانَةَ الْأَشَدُّ، قَالَ: عِدْ ** قَالَ: نُعِدْ، وَاسْتُكْثِرَ الصُّرْعَانِ[4]

فِي خَنْدَقٍ بِمِعْوَلٍ يُبَسْمِلُ ** يَكْسِرُ صَخْرَةً لَهَا كُدْيَانِ[5]

لَمْ يَسْتَطِعْ صُلْبُ الصَّحَابَةِ الْقُوَى ** مِنْ كَسْرِهَا، فَإِنَّهَا صِوَّانِ

لَا حَيْدَرَهْ، وَلَا عُمَرْ، فَمَا قَدَرْ ** كَذَا الزُّبَيْرُ مَعْهُمَا سَلْمَانِ

يَطُفْ عَلَى نِسَائِهِ فِي لَيْلَةٍ ** لَيْسَ كَمِثْلِهِ مِنَ الْفُحْلَانِ

وَلَمْ يَكُنْ يَأْنَفُ مِنْ مَشْيٍ مَعَ الْـ ** ـمِسْكِينِ، مَعْ أَرْمَلَةٍ ثُكْلَانِ

---

[1] أثبتُّ ياء الإطلاق كتابةً مع أنَّها تلفظ ولا تُكتب، لإرادة نسبة الشجعان وهم الصحابة، إلى النبيّ ﷺ أي: يا شُجعاني أنا، وليسو مجرَّد شُجعان.

[2] المقصود: في سرر: جمع سرير، وهو الفراش، والفراش كناية عن الجماع، والكناية هنا غاية في الأدب والجزالة؛ فبدلاً من التصريح، استخدمتُ محلَّ القوة (السرير) للدلالة على كمال الفحولة والرجولة التي هي من صفات الأنبياء الكُمَّل

[3] قَالُوا ثَلَاثِينَ رَجُلْ، زِدْ ثُلْثَهَا: أي: أنَّ قوته تعادلُ ثلاثين رجلا، وزد ثلثها: ثلث الثلاثين عشرة: تزدها للثلاثين تصبح أربعين: وهو قول آخر في حساب قوَّته ﷺ.

[4] ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، أشدُّ العرب قوَّة لا يُصارع أحدا إلا غلبه، قيل: أنَّ النبي ﷺ دعاه للإسلام فقال: إن صارعتني، فصارعه النبي ﷺ فصرعه، فقال: نعيد الكرة، فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرَّات، وقد ضعَّف بعضهم إسناد هذا الخبر بعلَّة المجاهيل فيه، وبعضهم ضعَّفه بالإرسال كابن كثير.

[5] كُدْيَانِي: الكُديةُ هي القطعةُ الصلبةُ من الأرضِ أو الصخرِ، وجمعُها (كُدىً)، واستخدامي لـ "كُدْيَانِي" (بياءِ الإطلاقِ) جاءَ بليغاً ليناسبَ القافيةَ.

وَكَانَ يَفْلِي ثَوْبَهُ، يَحْلُبُ شَا ** تَهُ وَيَخْدُمْ نَفْسَهُ فِي الشَّانِ[1]

قَطِيفَةٌ قَدِيمَةٌ رَحْلٌ رَثِي ** حَجَّ نَبِيُّنَا بِلَا رُؤْيَانِ[2]

وَيُدْعَ لَلْخُبْزِ مَعَا إِهَالَةٍ ** قَدْ سَنِخَتْ يُجِيبُ لَا خَجْلَانِ[3]

حَتَّى يَقُولَ: لَوْ دُعِيتُ لِلْكُرَا ** عِ أَسْتَجِبْ وَآكُلُ الْكُرْعَانِ

وَلَا يَقُومُ صَحْبُهُ لِرُؤْيَتِهْ ** لِكُرْهِ، ذَا، تَوَاضُعُ الْإِنْسَانِ[4]

وَزَارَ صَحْبَهُ لِمَرْضِهِمْ وَلَا ** يَرْكَبُ شَيْئاً جَا عَلَى الرِّجْلَانِ

يَمْشِي مَعَ النَّاسِ تَوَاضُعاً عَلَى الْ ** أَقْدَامِ أَوْ أَحْيَانَهُ حَفْيَانِ

وَمَا سُئِلْ عَنْ حَاجَةٍ فَقَالَ لَا ** وَلَا يَرُدُّ هَدْيَةَ الْإِخْوَانِ[5]

وَقَوْلُهُ: تُطْرُونِ لَا كَمَا طَرَتْ ** نَصَارَهُمْ لِذَاكُمُ الرُّوحَانِي

فِيهِ تَوَاضُعٌ بَسَاطَةٌ لِمَنْ ** سُلْطَانُهُ حَوَى الْبَشَرْ وَالْجَانِ

وَقَوْلُهُ: خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ ** خُلْقاً، وَلَمْ يَكُنْ بِذِي الْفُحْشَانِ

---

[1] الشان: أراد الناظم: في شأنهِ، أي: يخدم نفسه في شؤنه كلها.

[2] القطيفة: نوع من القماش: هي كِساء أو ثوب له "خَمْل" (شُعيرات ناعمة بارزة)، و: رثي: أي: رثٌّ، و: بلا رؤياني: أي: بلا رياء، كما قال النبي ﷺ في الحديث.

[3] الإهالة: الشحم المذاب، والسنخة: المتغيرة الريح لِقِدَمِها.

[4] لكرهٍ: أي: لكرهه أن يقف له النَّاس/ وحرف: (ذا) جعلت قبله فاصلة وبعده كذلك، لتفيد معنى الكلمة التي قبلها والتي بعدها، وهو فن لغوي بليغ يُعرف في البديع بـ "التوجيه" أو "الإبهام"،ويُسمى أحياناً "التضمين" أو "الاشتراك المزدوج".
بحيث تؤدي الكلمة الواحدة دوراً مزدوجاً في السياق، أي: لكرهِ ذا، وكذلك: ذا تواضعٌ ... فانتبهْ.

[5] الهدْيَةُ: هي: الهديَّة، وهي لغة، من ذلك قول الشاعر: وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا الرِّجَالُ تَشَاجَرُوا ** مَنْ هِيَّ أَمْثَلُ هِدْيَةً وَطَرِيقَا.

وَاسْتَفْسَرُوا أُمِّي الْعَفِيفَهْ عَائِشَهْ ** مَا خُلْقُهُ؟ رَدَّتْ: مِنَ الْقُرْآنِ[1]

وَمَا انْتَقَمْ لِنَفْسِهِ وَمَا ضَرَبْ ** زَوْجًا، عَدَا جِهَادُ فِي الدَّيَّانِ

وَأَرْأَفُ النَّاسِ رَحِيمُهُمْ وَلَا ** فِي رِقَّةِ الْقَلْبِ لَهُ مِنْ دَانِي

حَتَّى يَقُولَ عَنْ قَتِيلِ الْعِشْقِ: مَهْ ** هَلْ مِنْكُمُو مَنْ قَلْبُهُ رَحْمَانِ؟[2]

وَالْجُودُ مِنْ بَحْرِ عَطَائِهِ ارْتَوَى ** وَعَطْفُهُ قَدْ أَدْرَكَ اللَّهْفَانِ

فَجُودُهُ قَدْ فَاقَ حَاتِمًا كَذَا ** قَدْ فَاقَ عَبْدَ اللهِ بِنْ جُدْعَانِ

بَحْرُ الْعَطَا وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ ** وَيَنْهَمِرْ هَطَّالُ فِي رَمْضَانِ

أَعْطَى فَقِيرًا لِأْتِلَافٍ مَا طَلَبْ ** مِنْ غَنَمٍ مَا يَمْلَأُ الْوِدْيَانِ[3]

قَالَ: اسْلِمُوا يَا قَوْمَنَا ثُمَّ اغْنَمُوا ** قَالُوا: وَمَا دَهَاكَ يَا صَفْوَانِ؟[4]

قَالَ: مُحَمَّدٌ عَطَاؤُهُ كَمَنْ ** جَادَ وَلَا يَخْشَى مِنَ الْفُقْرَانِ

فَيَا عَذُولًا قَدْ سَمِعْتَ وَصْفَهُ ** فَاقْصِرْ لَقَدْ أَكْثَرْتَ مِنْ عَذْلَانِي

هَذَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ بِهِ ** تَفُزْ وَقَدْ قَرَأْتَ فِي الْبَيْتَانِ

نَظْمًا حَبِيرًا مِنْ مُقَصِّرٍ أَتَتْ ** أَبْيَاتُهُ دُرًّا كَمَا الْجُومَانِ[5]

---

[1] أمِّي العفيفة: لغة: وجوب إدغام يا أمي في اللام القمرية.

[2] ينظر: إلى الحديث الذي أخرجه النسائي وغيره 8663، وصححه الألباني: وفيه .. إلى أن قال: أما كان فيكم رجل رحيم، وكلمة: مهْ تفيد النهي أو التكرُّه، وأراد الناظم بذلك أنَّ النبيَّ ﷺ كرهَ قتلهم لذلك العاشق.

[3] لأْتلاف: تُكتبُ: لِائْتلاف، ولكني كتبتها كما في النظم لكي لا يظن الظانُّ أنها خطأ، وبيَّنت الصواب هنا.

[4] صفواني: أي: صفوان بن أمية، وهو الذي أعطاه النبيُّ ﷺ ما بين جبلين من غنم.

[5] أصل كلمة: الجومان، هو: جُمان: ولكني زيدت واو الإشباع ضرورة لحفظ الوزن.

فَالْزَمْ جَنَابَهُ تُعَزْ، وَاسْتَمْسِكَنْ ** بِسُنَّتِهْ، تَنْجُو مِنَ النِّيرَانِ

وَاسْمَعْ لَهُ بِطَاعَةٍ وَاسْتَسْلِمَنْ ** لِحُكْمِهِ تَقْرُبْ مِنَ الرَّحْمَانِ

وَنَافِحَنْ عَنْ عِرْضِهِ وَصَحْبِهِ ** وَدَعْ هَوَى مَنْ بَاءَ بِالْخُذْلَانِ

تُصْبِحْ عَزِيزًا فِي السَّمَا زِدْهُ رِضَىً ** بِلَا سَخَطْ، وَالْخُلْدُ فِي الْأَجْنَانِ[1]

هَذَا الَّذِي جَادَ الْفَقِيرُ مَنْ لَهُ ** بِضَاعَةٌ مُزْجَاةٌ لَا أَثْمَانِ[2]

عَصَامُ دِينٍ نَجْلُ إِبْرَاهِيمَ مَنْ** يَرْجُو نَجَاةً لَا بِهَا أَحْزَانِ

ثُمَّ صَلَاةٌ وَسَلَامٌ سَرْمَدَا ** مِنْ رَبِّنَا مَا دَامَتِ الْأَزْمَانِ

عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ أَحْمَدَا ** مَنْ شَافَهُ قَدْ فَازَ بِالرِّضْوَانِ[3]

وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى الْإِمْنَانِ ** وَالْعَفْوِ وَالْجُودِ كَذَا الْإِحْسَانِ

{تم نظم الشمائل}

******

[1] أجنان: جمع قلة.

[2] يقول الناظم بتواضعٍ جمّ: إنَّ هذا النظم الذي أقدّمه في وصف النبي ﷺ هو غاية ما استطعتُ بذله، وأنا "الفقير" الذي لا يملك الكثير من فصاحة القول أو بلاغة البيان. فكلماتي "بضاعة مزجاة"؛ أي قليلة القدر ورديئة القيمة، لا ثَمنَ فيها، لكنها رغم تواضعها هي "كل أثماني"؛ أي هي أقصى ما أملكه من ثمنٍ وقيمة في حياتي، قدمتُها حباً وطمعاً في القبول.

[3] مَنْ شَافَهُ: (من المشافهة أو الرؤية).

{قالوا في نقد القصيدة}

تبدأ القصيدة بنداءٍ وجداني إلى "اللائم" في حب النبي ﷺ، وهي بداية ذكية تشبه مطالع المعلقات، حيث يضع الناظم نفسه في مقام المحب المستغرق الذي لا يبالي بالعذل. ثم ينطلق في رحلة وصفية مذهلة استغرقت 81 بيتاً، يمكن تقسيمها إلى أربعة محاور كبرى:

1 – المحور الخَلْقي (جمال الهيئة النبوية):

استمد الناظم هذا الجزء من أدق روايات الشمائل (وصف هند بن أبي هالة وأم معبد). وصف الوجه بأنه كقطيعة قمر وكورقة مصحف في نقائه، وتطرق لجمال العينين (الأدعج) والحواجب (الأزج الأبلج) والأنف (الأقنى). ثم انتقل لوصف الشعر (الغُدر المدهونة) واللحية الكثة، وصولاً إلى خاتم النبوة بين كتفيه الذي يشبه بيضة الحمامة، وختم هذا الجزء بوصف طيب ريحه الذي هو أطيب من المسك وعرقه الذي كاللؤلؤ.

2 – المحور البدني (القوة والكمال الرجولي):

هذا المحور تميز فيه الناظم بذكر تفاصيل نادرة؛ فوصف ضخامة الكراديس (رؤوس العظام) وقوة الساعدين والساقين. ووثق القصص التاريخية التي تدل على القوة المعجزة، مثل مصارعة ركانة وصرعه ثلاثاً، وكسر الصخرة العظيمة في غزوة الخندق بمعولٍ واحد بعد أن عجز عنها كبار الصحابة (علي وعمر والزبير). كما أشار بوقار وأدب إلى كمال فحولته وقوته البدنية التي تليق بنبيٍّ أُعطي قوة أربعين رجلاً.

3 – المحور البطولي (الشجاعة والثبات):

رسمت القصيدة مشهداً ملحمياً لـ غزوة حنين، وكيف ثبت النبي ﷺ على بغلته حين ولى الناس، منادياً بصوته الجهوري: "أنا النبي لا كذب..". واستشهد الناظم بقول سيدنا علي بن أبي طالب: "كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله"، مما يثبت أنه ﷺ كان فارس الفرسان وملاذ الأبطال في الميدان.

4 – المحور الخُلُقي والاجتماعي (التواضع والجود):

انتقلت القصيدة لوصف تواضعه المنزلي (يخصف نعله ويحلب شاته)، وتواضعه مع المساكين والأطفال (قصة أبي عمير والنغير)، ومع أصحابه (قصة زاهر بن حرام). ثم عرج على جوده الذي فاق حاتم الطائي وابن جدعان، واصفاً عطاءه بأنه "عطاء من لا يخشى الفقر" (قصة صفوان بن أمية). وختم بوصف حياءه الذي هو أشد من حياء العذراء، ورقة قلبه التي وسعت حتى قتلى العشق والوجد.

خاتمة القصيدة:

انتهت القصيدة بـ "توقيع الناظم" (عصام الدين بن إبراهيم) وباعترافه بالتقصير وبأن بضاعته في المدح "مزجاة"، ثم الصلاة والسلام السرمدي على النبي الهاشمي، والحمد لله الذي مَنّ عليه بإتمام هذا النظم الحبير.

الخلاصة:

هذه الأرجوزة ليست مجرد شعر، بل هي موسوعة شمائل منظومة، جمعت بين لغة الأدب ودقة الحديث، لتكون دليلاً بصرياً وروحياً لكل مشتاق لرؤية المصطفى ﷺ.

*****